

الباب الثالث

تفسير سورة الزلزلة

1. ابن كثير في تفسير القرآن العظيم

تفسير سورة الزلزلة

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَذَا (3)
يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا
أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)
وهي مدينة.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا سعيد، حدثنا عياش بن عباس، عن
عيسى بن هلال الصّدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال: أقرئني يا رسول الله. قال له: "اقرأ ثلاثا من ذات الر". فقال له الرجل: كبر سني واستد قلبي،
وغلظ لساني. قال: "فاقرأ من ذات حم"، فقال مثل مقالته الأولى. فقال: "اقرأ ثلاثا من
المسبحات"، فقال مثل مقالته. فقال الرجل: ولكن أقرئني -يا رسول الله- سورة جامعة. فأقرأه: "إِذَا
زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا " حتى إذا فرغ منها قال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا. ثم
أدبر الرجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفلح الرويحل! أفلح الرويحل!" ثم قال: "عَلَيَّ
به". فجاءه فقال له: "أمرت بيوم الأضحى جعله الله عيدا لهذه الأمة". فقال له الرجل: أرايت إن لم

أجد إلا منيحة أنثى فأضحى بها؟ قال: "لا ولكنك تأخذ من شعرك، وتقلم أظفارك، وتقص شاربك، وتحلق عانتك، فذاك تمام أضحيتك عند الله، عز وجل".

وأخرجه أبو داود والنسائي، من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ به.

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن موسى الحرشي البصري: حدثنا الحسن بن سلم بن صالح العجلي، حدثنا ثابت البناني، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ " إِذَا زُلْزِلَتْ " عدلت له بنصف القرآن". ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن سلم.

وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الحرشي، عن الحسن بن سلم عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " تعدلُ ثلث القرآن، و " إِذَا زُلْزِلَتْ " تعدلُ ربع القرآن". هذا لفظه.

وقال الترمذي أيضا: حدثنا علي بن حُجْر، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا يمان بن المغيرة العنزي، حدثنا عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إِذَا زُلْزِلَتْ " تعدلُ نصف القرآن، و "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" تعدل ثلث القرآن، و "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ" تعدل ربع القرآن". ثم قال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة. وقال أيضا: حدثنا عقبه بن مُكْرَم العَمِّي البصري، حدثني ابن أبي فُدَيْك، أخبرني سلمة بن وردان، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟" قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج؟! قال: "أليس معك "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"؟" قال: بلى. قال: "ثلث القرآن". قال: "أليس معك " إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ " ؟ " قال: بلى. قال: "ربع القرآن". قال: "أليس معك "

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ؟ " . قال: بلى. قال: "ربع القرآن". قال: "أليس معك "إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ" ؟
 ". قال: بلى. قال: "ربع القرآن" تزوج، [تزوج]. ثم قال: هذا حديث حسن.
 تفرد بهن ثلاثتهن الترمذي، لم يروه من غيره من أصحاب الكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3)
 يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6)
 فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

قال ابن عباس: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) أي: تحركت من أسفلها. (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) يعني: ألقى ما فيها من الموتى. قاله غير واحد من السلف. وهذه كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ¹) وكقوله (وَإِذَا الْأَرْضُ مَدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ²).

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، وبيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، وبيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً".

¹ انظر سورة الحج، الآية: 1

² انظر سورة الانشقاق، الآية: 3-4

وقوله: (وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا) أي: استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها، أي: تقلبت الحال، فصارت متحركة مضطربة، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألقته ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهار.

وقوله: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) أي: تحدث بما عمل العاملون على ظهرها. قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن المبارك -وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي، واللفظ له: حدثنا سويد بن نصر، أخبرنا عبد الله -هو ابن المبارك- عن سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) قال: "أتدرون ما أخبارها؟". قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها".

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة: حدثني الحارث بن يزيد -سمع ربيعة الجرشي-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تحفظوا من الأرض، فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً، إلا وهي مخبرة".

وقوله: (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) قال البخاري: أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها: واحد وكذا قال ابن عباس: (أَوْحَى لَهَا) أي: أوحى إليها.

والظاهر أن هذا مُضَمَّن [بمعنى] أذن لها.

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) قال: قال لها ربها: قولي، فقالت.

وقال مجاهد: (أَوْحَىٰ هَآ) أي: أمرها. وقال القُرظي: أمرها أن تنشق عنهم.

وقوله: (يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا) أي: يرجعون عن مواقف الحساب، (أَشْتَاتًا) أي:

أنواعًا وأصنافًا، ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار.

قال ابن جريج: يتصدعون أشتاتًا فلا يجتمعون آخر ما عليهم.

وقال السُّدي: (أَشْتَاتًا) فرقا.

وقوله تعالى: (لِيُرَوْا أَعْمَاهُمْ) أي: ليعملوا ويجازوا بما عملوه في الدنيا، من خير وشر. ولهذا

قال: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ).

قال البخاري: حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني مالك عن زيد بن أسلم، عن أبي

صالح السَّمان عن أبي هُريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الخيال لثلاثة: لرجل أجر،

ولرجل ستر، وعلى رجل وزر؛ فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أو

روضة، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها

فاستنتت شرفًا أو شرفين، كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد

أن يسقى به كان ذلك حسنات له، وهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تَعْنِيًا وتعففاً، ولم ينس

حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له ستر. ورجل ربطها فخرًا ورتاء ونواء، فهي على ذلك وزر".

فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحُمْر، فقال: "ما أنزل الله فيها شيئًا إلا هذه الآية الفاذة

الجامعة: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ).

ورواه مسلم، من حديث زيد بن أسلم، به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا جرير بن حازم، حدثنا الحسن، عن صعصعة بن معاوية -عم الفرزدق-: أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقراً عليه: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) قال: حسبي! لا أبالي ألا أسمع غيرها.

وهكذا رواه النسائي في التفسير، عن إبراهيم بن يونس بن محمد المؤدب، عن أبيه، عن جرير ابن حازم، عن الحسن البصري قال: حدثنا صعصعة عم الفرزدق، فذكره.

وفي صحيح البخاري، عن عدي مرفوعاً: "اتقوا النار ولو بشقِّ تمر، ولو بكلمة طيبة" وفي الصحيح: "لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسطاً" وفي الصحيح أيضاً: "يا نساء المؤمنات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة" يعني: ظلفها. وفي الحديث الآخر: "ردوا السائل ولو بظلف محرق".

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله، عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا عائشة، استتري من النار ولو بشقِّ تمر، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان". تفرد به أحمد.

وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة، وقالت: كم فيها من مثقال ذرة.

وقال أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن مسلم، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير: حدثني عوف بن الحارث بن الطفيل: أن عائشة أخبرته: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبا".

ورواه النسائي وابن ماجه، من حديث سعيد بن مسلم بن بآنك، به.

وقال ابن جرير: حدثني أبو الخطاب الحساني، حدثنا الهيثم بن الربيع، حدثنا سماك بن عطية، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله، إني أجزى بما عملتُ من مثقال ذرة من شر؟ فقال: "يا أبا بكر، ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى تُوفاه يوم القيامة".

ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه [عن] أبي الخطاب، به. ثم قال ابن جرير:

حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا أيوب قال: في كتاب أبي قلابة، عن أبي إدريس: أن أبا بكر كان يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم، فذكره.

ورواه أيضاً عن يعقوب، عن ابن عُليّة، عن أيوب، عن أبي قلابة: أن أبا بكر، وذكره.

طريق أخرى: قال ابن جرير: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني حُيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: لما نزلت: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) وأبو بكر الصديق، رضي الله عنه، قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يبكيك يا أبا بكر؟". قال: يبكيني هذه السورة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا أنكم تخطئون وتذنبون، فيغفر الله لكم، لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم".

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن بن [محمد بن]

المغيرة - المعروف بعلان المصري - قالوا حدثنا عمرو بن خالد الحرّاني، حدثنا ابن هبيرة، أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: لما أنزلت: (فَمَنْ)

يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) قلت: يا رسول الله، إني لراء عملي؟ قال: "نعم". قلت: تلك الكبار الكبار؟ قال: "نعم". قلت: الصغار الصغار؟ قال: "نعم". قلت: واأكل أُمي. قال: "أبشر يا أبا سعيد؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها - يعني إلى سبعمائة ضعف - ويضاعف الله لمن يشاء، والسيئة بمثلها أو يغفر الله، ولن ينجو أحد منكم بعمله". قلت: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة" قال أبو زرعة: لم يرو هذا غير ابن لهيعة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْرٍ، حدثني ابن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) وذلك لما نزلت هذه الآية: (وَيُطْعِمُونَ عَلَىٰ حَبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا³)، كان المسلمون يرون أنهم لا يُؤَجِرُونَ على الشيء القليل الذي أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك، فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء. إنما نُؤَجِّرُ على ما نعطي ونحن نحبه. وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر. فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه، فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) يعني: وزن أصغر النمل (خَيْرًا يَرَهُ) يعني: في كتابه، ويسرُّه ذلك. قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة. وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضًا، بكل واحدة عشر، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة، دخل الجنة.

³ انظر سورة الإنسان، الآية: 8

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عمران، عن قتادة، عن عبد ربه، عن أبي عياض، عن عبد الله بن مسعود؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه". وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادا، وأججوا نارا، وأنضجوا ما قذفوا فيها.

[آخر تفسير سورة "إذا زلزلت"] [ولله الحمد والمنة].

2. محمد مصطفى المراغي في تفسير المراغي

تفسير سورة الزلزلة

هي مدينة، وآياتها ثمان، نزلت بعد سورة النساء. ووجه مناسبتها لما قبلها—أنه لما ذكر فيما سلف جزاء المؤمنين والكافرين، بين هنا وقت ذلك الجزاء وعلاماته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَاهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8).

شرح المفردات

الزلزلة: الحركة الشديدة مع اضطراب، والأتقال: واحدها ثقل، وهو فى الأصل متاع البيت كما قال: (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا يَشِقُّ الْأَنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ⁴) والمراد هنا ما فى جوف الأرض من الدفائن كالموتى والكنوز، وتقول أو حيت له وأو حيت إليه ووحى له ووحى إليه، أى كلمه خفية أو ألهمه كما جاء فى قوله: (... وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ⁵) يصدر : أى يرجع، فالوارد هو الآتى للماء ليشرّب أو يستقى، والصادر: هو الراجع عنه، أشتاتا: واحدهم شتيت أى متفرقين متميزين لايسير محسنهم ومسيئهم فى طريق واحدة، الذرة: النملة الصغيرة، أو هى الهباء الذى يرى فى ضوء الشمس إذا دخلت من نافذة، ومثقال الذرة: وزنها، وهو مثل فى الصغر.

سبب نزول هذه السورة

كان الكفار كثيرا ما يسألون عن يوم الحساب فيقولون (أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ⁶) ويقولون : (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ⁷) وما أشبه ذلك، فذكرهم فى هذه السورة علامة ذلك فحسب، ليعلموا أنه لاسبيل إلى تعيين ذلك اليوم الذى يعرض الناس فيه على ربهم لعقاب المذنبين وثواب المؤمنين.

⁴ انظر سورة النحل، الآية: 7

⁵ انظر سورة النحل، الآية: 8

⁶ انظر سورة القيامة، الآية: 6

⁷ انظر سورة يس، الآية: 48

الإيضاح

(إذا زلزلت الأرض زلزالها) أى إذا اضطربت الأرض وتحركت حركة شديدة ونحو الآية قوله :

(إذا رجت الأرض رجاً⁸)، وقوله : (يأيها الناس اتقوا رجكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم⁹)

وفى ذلك إيماء إلى شدة الحال بومئذ، ولفت لأنظار الكافرين إلى أن يتدبروا الأمر ويعتبروا، وكان يقال لهم: إذ كان الجماد بضرب لهول هذا اليوم، فهل لكم أن تستيقظوا من غفلتكم، وترجعوا عن عنادكم؟.

(وأخرجت الأرض أثقالها) أى وأخرجت الأرض ما فى جوفها من الكنوز والدفائن والأموات، فإنها لشدة اضطرابها يثور باطنها ويقذف ما فيه.

ونحو الآية قوله: (وإذا الأرض مدت. وألقت ما فيها وتخلت¹⁰)

ومثال هذا مانراه فى حياتنا الدنيا من جبال النار الثائرة (البراكين) كما حدث فى إيطاليا سنة 1909م من ثوران بركان ويزوف وابتلاعه مدينة مسينا ولم يبق من أهلها ديارا نافخ نار.
(وقال الإنسان ما لها؟) أى وقال من يكون من الناس مشاهدا لهذا الزلزال الذى يخالف أمثاله فى شدته، ويحار العقل فى معرفة أسبابه، ويصيبه الدهش مما يرى ويصير: ما لهذا الأرض، وما الذى وقع لها مما لم يعهد له نظير من قبل؟ كما جاء فى آية أخرى: (وترى الناس سكرى وماهم بسكرى¹¹)

⁸ انظر سورة الواقعة، الآية 47

⁹ انظر سورة الحج، الآية: 1

¹⁰ انظر سورة الانشقاق، الآية: 3-4

¹¹ انظر سورة الحج، الآية: 2

(يومئذ تحدث أخبارها) أى فى ذلك الوقت وقت الزلزلة تحدثك الأرض أحاديثها، والمراد أن حالها وما يقع فيها من الاضطراب والانقلاب، وما لم يعهدله نظير من الخراب، تعلم السائل ومفهمه أن ما يراه لم يكن لسبب من الأسباب التى وضعت لأمثاله مما نراه حين استقر نظام هذا الكون.

ثم بين سبب ما يرى فقال:

(بأن ربك أوحى لها) أى إن ما يكون للأرض يومئذ إنما هو بأمر إلهي خاص، فيقول لها كوني خرابا كما قال لها حين بدء النشأة الأولى كوني أرضا، وإنما سمي ذلك وحيا، لأنه أتى على خلاف ما عهد منذ نشأة الأرض، قاله الأستاذ الإمام.

(يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم) أى يوم يقع الخراب العظيم لهذا العالم الأرض، ويظهر ذلك الكون الجديد كون الحياة الأخرى، يصدر الناس متفرقين متميزين فلا يكون محسن فى طريق واحد مع مسيء، ولا مطيع مع عاص، ليربهم الله جزاء ما قدمت أيديهم، ويجنوا ثمر ما غرسته أيماهم.

ثم فصل ذلك بقوله:

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) أى فمن يعلم من الخير أدنى عمل وأصغره فإنه يجد جزاءه، ومن يعمل الشر ولو قليلا يجيد جزاءه، لا فرق بين المؤمن والكافر.

وحسنات الكافرين لا تخلصهم من عذاب الكفر فهم به خالدون فى الشقاء، وما نطق من الآيات بجبوت أعمال الكافرين وأنها لا تنفعهم، فالمراد به أنها لا تنجيهم من عذاب الكفر وإن خفت

عنهم بعض العذاب الذى كان يرتقبهم من السيئات الأخرى، أما عذاب الكفر فلا يخفف عنهم منه شيء، يرشد إلى ذلك قوله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين¹²). فقوله: (فلا تظلم نفس شيئا) صريح فى أن المؤمن والكافر فى ذلك سواء. وأن كلا يوفى يوم القيامة جزاءه، وقد ورد أن حاتما يخفف عنه لكرمه، وأن أبا لهب يخفف عنه لسروره بولادة النبی صلى الله عليه وسلم، هذا تلخيص ما قاله الأستاذ الإمام فى تفسير الآية.

مقاصد السورة

استملت هذه السورة الكريمة على مقصدين:

1. اضطراب الأرض يوم القيامة ودهشة الناس حينئذ.
2. ذهاب الناس لموفق العرض والحساب ثم مجازاتهم على أعمالهم.

¹² انظر سورة الانبياء، الآية: 47